»الحمد لله رب العالمين والسلام على جميع أنبيائه المرسلين،
أصحاب السمو والمعالي الفضيلة،
حضرات السيدات والسادة،
يطيب لي أن أتوجه إليكم في افتتاح أعمال هذا الملتقى الهام بتحية السلام وعبارات الإشادة والامتنان لكل من البطريركية المسكونية التي قامت بهذه المبادرة المباركة في تنظيم هذه الندوة حول حوار الأديان تعبئة منها لكل الإرادات النيرة من ممثلي الأديان الثلاثة للتصدي لما يتهدد عالم اليوم من مخاطر.
كما أعرب عن إشادتي برعاية الاتحاد الأوروبي لهذه الندوة ولما يبذله من مساع دءوبة لصيانة السلام والدعوة إلى التفاهم والحوار وإشاعة روح التعاون والتضامن، معبرا عن عميق اعتزازي بدعوتكم إياي لتوجيه رسالة افتتاحية لأشغال هذه الندوة اعتبارا للعناية البالغة التي أوليها لكل عمل يستهدف التقريب بين الأديان والحضارات والتآخي بين الناس. إن ملتقاكم هذا يكتسي أهمية خاصة بانعقاده في هذا الظرف بالذات الذي تتعاظم فيه الشكوك وتتزايد التساؤلات وتحف به المخاطر. فالتئام جمعكم الموقر يعتبر إذن أمرا محبدا أكثر من أي وقت مضى لما يجسده من حرص على ربط اسم الله تعالى بالسلام الذي هو من صفاته الحسنى ومن رغبة في أن تستعيد الديانات السماوية إشعاعها الحقيقي في مجال الحوار والاحترام للآخر والتحلي بمكارم الأخلاق. ولذا يسعدني في هذا المحفل النبيل أن أسمع صوت المغرب وصوت ملكه أمير المؤمنين في التشبث بما جاء به الإسلام من قيم العدالة واحترام الحياة والتضامن الإنساني والإصغاء للآخر.
وإن الإفصاح عن هذه المعتقدات بالنسبة للمغرب ليس من قبيل الأدبيات الأكاديمية أو التنظيرية بل هو تعبير ملموس عن حياتنا نحن المغاربة كما نعيشها كل يوم باعتبارها من المقومات الثابتة للمجتمع المغربي الذي عرف عبر تاريخه العريق
كيف يحافظ على دينيه مفهوما وممارسة ويتجاوب مع زمانه وما يفرزه كل عصر من إكراهات دون التفريط في أي قيمة من القيم الإنسانية التي لم يفتأ المغاربة يستلهمونها ويستنيرون بها.
فالموقع الجغرافي للمغرب جعله ملتقى للتعددية الثقافية والحضارية منفتحا على ثقافات الشعوب المتوسطية خاصة والأخذ باللائق من حضاراتها دون حرج في معايشة هذه التعددية إيمانا منه بكونها قوام غناه الحضاري. وهذا ما مكن بلدنا من أن يضطلع بدور مهم في محيطه الجوي والعالمي ومن أن يستجيب كلما دعي إلى ذلك وبكل ما في وسعه للإسهام في أي مبادرة دولية لتحقيق السلام والقضاء على التوتر ودعم أي مفاوضة أو حوار لإحلال السلم محل النزاع.

وان التاريخ المعاصر ليسجل باعتزاز أن والدي المنعم جلالة الملك الحسن الثاني قدس الله روحه كان رائدا في انتهاج سبل الحوار ثاقب النظر في كل مواقفه متشبثا بالقيم الروحية والإنسانية وتحكيمها في كل النزاعات الدولية جاعلا من الحوار والاعتدال والجنوح للسلم ومناصرة الحق قوام مذهبه في الحكم واضعا مكانته الروحية والزمنية كملك أمير للمؤمنين في سبيل ترسيخ ثقافة الوفاق والتفاهم والتعايش بين الأمم والشعوب مما جعله رحمه الله مثالا يحتذى به ومرجعا في التقريب بين الأديان والحضارات والثقافات وبذل المشورة والرأي السديد في كل المعضلات بما شهد به الجميع بمن فيهم الذين كانوا خصوصا ثم أقروا بما كان لجلالته من بعد نظر وصواب وحكمة وريادة.
حضرات السيدات والسادة
لقد كثر الحديث عن صدام الحضارات الذي قيل أنه سيطبع القرن الحادي والعشرين مثلما تميز القرن التاسع عشر بالمواجهات بين القوميات والقرن العشرون بصراع الإيديولوجيات. إن هذا الطرح الذي تغذيه وتؤججه كل المخاوف إنما هو فخ يحاول أن يوقعنا فيه من يرفضون مواجهة المعضلة الحقيقية التي يطرحها زمننا المعاصر زمن الاذعان لمنطق الهوة الروحية والفلسفية الذي ينذر بالسقوط في الكمين الذي نصبه الأعداء الحقيقيون للعقيدة سواء كانت عقيدة إسلامية أو يهودية أو مسيحية.
وإن الذين يحاولون تأليب بعضنا البعض واستعداء ثقافة على أخرى ودين على دين هم دعاة الظلامية والتقهقر الذين يحاولون أن ينسونا أن الديانات السماوية التي جميعها جوهر رسالة إبراهيم الخليل عليه السلام في الإيمان بالله الواحد الأحد قد جاءت كلها برسالة الإنقاذ للإنسانية والعمل على تقدمها المناهض للهمجية والعنف والتطرف.

إن كل شعب ذي دين وحضارة يمكنه بل يجب عليه أن يكـون فخـورا بمـا حققـه للبشـرية مـن إشراقات. كما يجب عليه أن يقف على جوانب ظله متسائلا بصوت جماعي.. ماذا يمكـن قـوله بخصوص الجرائم التي اقترفتها العديد من الحضارات والتي لم يتجنبها إلا القليـل منهـا فـالكثير من الحضارات أطلقت العنان في فترة من فترات تاريخها لنزعة الحقد والكراهية.
وان استحضار الماضي ليعد شجاعة وواجبا في نفس الوقت على كل حضارة تحترم نفسها.
فالإخلاص لقيمنا حتى عندما تتهددها الديماغوجيـة والشـعبوية والجهـل هـو قوتنـا ومنبـع هويتنـا وافتخارنا. كما أن مقاومة الذين يتاجرون باسم الدين هي أمانة ملقاة على عاتقنا.
أجل إن أجدر الناس بـالحوار اليـوم لهـم الـذين يشـتركون فـي الإيمـان بـالله الواحـد وبـالكتب السماوية المنزلة التي أكدت كلها مسؤولية البشر جميعا أمام خالقهم يوم الجـزاء ومسـاواتهم فيما بينهم وأن الله تعالى جعلهم مختلفين شعوبا وقبائل وألوانـا ولغـات ليتعـارفوا لا ليتنـاكروا. كما أدانت تلك الكتب المقدسة الظلم والعدوان في كل صورهما داعية إلى التـآخي والتضـامن في نشر الفضـيلة ومحاربـة الرذيلـة.فهـذه القيـم المشـتركة بيـن أديانـنا كلهـا تمكننـا إن نحـن استطعنا تفعيلها في سلوكنا السياسي والاجتماعي والثقـافي مـن أن نصـنع عالمـا جديـدا ينعـم بالأمن والاستقرار والتفاهم والوفاق. وأعتقد أن ملتقاكم هذا إنمـا تـم فـي سـياق استشـعاركم للضرورة الملحة لتفعيل هذه القيم.
حضرات السيدات والسادة..
إذا كان الذين شاركوا في هذا الملتقى قد عبروا بصدق وإخلاص عن دعوة الإسلام إلـى السـلم والحوار والتعايش الإنساني الأمثل فـاني أبـى إلا أن أؤكـد مـا سـبق توضـيحه وهـو أن الإسـلام يجسد هذه القيم كلها جوهرا ومنهجا في خطابه وذلك بدعوته الواضحة في القرآن الكريم إلـى الحوار بالمنهج العقلاني في قوله تعالى// قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننـا وبينكـم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله// صدق الله العظيم.

ولذلك أصبح لزاما على كل مهتم بالحوار الديني اليوم من جانب غير المسلمين أن يطلـع علـى القيم الإسلامية في مصادرها الثابتة وعلى تاريخ الإسلام الحضاري الذي رسـخ تلـك القيـم فـي مجتمعاته ولاسيما المجتمعات التي اختلط فيها المسلمون بغير المسلمين فـي الشـرق أو فـي الغرب.وهذا المنهج الموضوعي لإدراك صورة الإسلام الناصعة وعدم الانخداع بما تروجـه بعـض وسائل الإعلام المغرض مـن مزاعـم إلـى حـد رمـي الإسـلام بكـونه ديـن الإرهـاب والعدوانيـة والتعصب انطلاقا من ممارسة الأشرار المتطرفين المنحرفين عن جادة الإسلام الحق الذين لم يخل أي دين من أمثالهم.
فالحوار بين الأديان يجب أن ينطلق من المعرفة الصحيحة ومن الحكمة والتبصر والتواضـع لأن الاستعلاء والكراهية والتعصب هم أعداء كل حوار هادف وبناء. إن الحوار بين الأديان هـو المـوجه الأخـر للحـوار بيـن الحضـارات والثقافـات. وهـو مـن مسـؤولية جميـع المـؤمنين مثلكـم بـأن الحضارات الإنسانية لم تكن أبدا في موقع الصراع فيما بينها لأنها كانت علـى الـدوام حضـارات متكاملة فيما بينها ومتفاعلـة ومتلاقحـة إلـى حـد أنـه لـم توجـد حضـارة منغلقـة علـى ذاتهـا أو مستغنية عن عطاءات الحضارات الأخـرى. وإذا كـانت الحضـارات كلهـا قـد انبثقـت مـن ينبـوع العقيدة الدينية أو ما يماثلها فإن الحوار بين الأديان الذي يعد خير مدخل للحوار بين الحضـارات والثقافات يستلزم انفتاح العقل والخيال كمـا يتطلـب التحلـي بـروح المسـؤولية وقـوة الإيمـان وبالإرادة القوية في مقاومة كل مـا مـن شـأنه أن يمـس حريـات الأفـراد وحقـوقهم باعتبـارهم ينتمون إلى نفس المجموعة البشرية. وإنني لأستحضر في هذا الصدد وبكـل مـرارة مـن موقـع مسؤوليتي كرئيس للجنة القدس الشريف المنبثقة عـن منظمـة المـؤتمر الإسـلامي مـا تعـانيه مدينة السلام وملتقى الأديان الثلاثة مدينة القـدس الشـريف معـبرا عمـا ينتـاب كـل المـؤمنين اليوم من مشاعر الأسى والإحباط من جراء الممارسات العدوانية للحكومة الإسرائيلية في حق الشعب الفلسطيني الشقيق المتنافية مع القيم الدينية والأوفاق الدولية داعيـا جمعكـم المـوقر إلى الوقوف بجانب هذه المدينة الجريحة باعتبارها مدينتنا جميعا مـن منطلـق حرصـنا علـى أن تظل مدينة للتآخي بين الأديان والتعايش النموذجي بينها. وأعتقد أن ملتقاكم هـذا قـد استشـعر المسؤولية الجسيمة الملقاة على كاهلنا جميعا
في أن نجعل من كل ملتقى أو ندوة حول حوار الأديان والحضارات بمثابة خطوة جديدة تنطلق مما رسخته الخطوة السابقة بل وتضيف إليها لبنة أو لبنات فـي بنـاء صـرح التفـاهم والتعـايش الإنساني .

وهذا ما عبرت عنه في اجتماع المنتدى المتوسطي الذي انعقد بأكادير لبلورة موقف مشترك من أسباب وتداعيات الاعتداءات الآثمة لحادي عشر شتنبر الماضي حيث أكدت على ضرورة قيام حوار دائم ومهيكل واستراتيجي بين كل الدول يقوم على أساس احترام حقوق الإنسان في الحرية والكرامة والعيش الآمن دونما تمييز بين الأجناس والأديان والثقافات والأوطان والعمل على إخماد كل بؤر التوتر المشتعل ومكافحة التعصب المدمر للاستقرار والسلام في العالم حيثما كان. وفي هذا السياق أود أن أجعل خاتمة رسالتي إليكم اقتراح انعقاد ملتقى موسع للحوار بين الأديان والثقافات خلال السنة المقبلة بالمغرب. وستسعد المملكة المغربية أرض الحوار واللقاءات باحتضان هذا الملتقى لمواصلة العمل وتعميق أسس التفاهم واستتباب السلم والحوار على أن يتوج هذا الملتقى بصياغة ميثاق أخلاقي بين الأديان السماوية من شأنه أن يرسخ العمل بكل القيم المشتركة بين أديانا ويجسد تطلع شعوبنا على اختلاف مذاهبها إلى بناء غد آمن تنعم فيه البشرية جمعاء بالسلام والطمأنينة.
وستجدون دوما في المغرب وفي ملكه أمير المؤمنين بما عهدتموه فيه من تشبع بالقيم الدينية والإنسانية المثلى للحرية والسلم والإخاء والتضامن بين الناس وصيانة كرامتهم خير سند ومعين على ما تتوخونه من لقاءاتكم التي أبارك مقاصدها النبيلة سائلا الله جلت قدرته لكم التوفيق والسداد لنيل رضوانه تعالى وثوابه على خدمتكم للإنسانية وتحقيق وحدتها الروحية وسعادتها الأبدية. والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.
وحرر بالقصر الملكي العامر بالرباط في يوم الثلاثاء 2 شوال 1422 موافق 18 دجنبر 2001 م.
محمد السادس ملك المغرب. »
MAP